برنامج أنوار كاشفة **سفر الجامعة** **الحلقة الثالثة**

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل لقائين بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكدّ أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وبلا معنى.

وفي اللقاء الماضي تحدّث سليمان الحكيم أنه ليس من جديد تحت الشمس. وأن لا أحد يذكر الأجيال السابقة. وبدأ معالجة مشاعر الإحباط عند الإنسان عن طريق الحكمة أو الفلسفة. وتبين لنا أن الفلسفة تلوم الله، حيث عاد الحكيم وردد شعار سفر الجامعة الشهير: **« الكل باطل وقبض الريح».**

هل فقدت مستمعي الأمل من إصلاح نفسك؟ فكل يوم تبدأ نهارك مصمماً أن تكون إنساناً صالحاً، وأن تبتعد عن فعل الشر. لكنك تكتشف أنك عاجز، وأن الخطية وشهواتك هي أقوى منك، ومن المستحيل عليك أن تقهرها. لكن هل تعلم أنك لست الوحيد، فكل الناس عندهم نفس هذا الإختبار. هل تعلم أن سليمان الحكيم وصل إلى نفس هذه القناعة، فلقد كتب قائلاً: **« الأعوج لا يُمكن أن يُقوّم والنّقص لا يُمكن أن يُجبر»** (الجامعة١:١٥). يبدو واضحاً هنا أن سليمان الحكيم قد فقد أمله بإصلاح البشر. وهو الملك المُختبِر، الذي كان ملكاً على ما أُعتبر عندها بشعب الله في القديم.

وكأني به يقول: إن الأعوج، أي الإنسان الذي اعتاد على فعل الشر، من أي نوع كان، والمُستعبَد من شهواته الفاسدة، أو المدمن على الخمرة والسّكر، هذا الإنسان من المستحيل إصلاحه. وإن استطاعت القوانين البشرية من ردعه إلى حين، فهي حتماً ستفشل في إصلاحه من الداخل. أما الإنسان النّقص أو الناقص، أي الذي يفتقد الخصائل الحميدة من محبة ولطف ومساعدة للآخرين، فمن المستحيل أيضاً زرع هذه الصفات الجيدة في نفسه. إذ كما قال لا يُمكن أن يُجبر. لكن السؤال: هل هذا الأمر صحيح يا ترى؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا اللقاء.

هل من المستحيل إصلاح الإنسان الشرير؟ وهل من الصعب جداً زرع الخصائل الحميدة في الإنسان الذي يفتقدها؟ قد يبدو للإنسان الطبيعي الذي يفكّر منطقياً كما فكّر سليمان، أن هذا أمر مستحيل وصعب. لكن بالنسبة لله الخالق القدير، لا يوجد شيء مستحيل أو صعب. تحدّث الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، عن حالة الإنسان، فكتب قائلاً: **« فإنـــي أعلـــم أنه ليـــس**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

ســـاكنٌ فيّ أي في جسدي شيٌ صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحُسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده. بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل» (الرسالة إلى رومية٧:١٨و١٩).

هذا هو إذن وضع الإنسان الطبيعي، فهو وإن أراد أن يفعل الصلاح لا يستطيع، لأن الخطيّة تستعبده وتقوده إلى فعل الشر. لهذا تساءل الرسول بولس قائلاً: **« ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟»** (الرسالة إلى رومية٧:٢٤). وقد أجاب الرسول بولس عن تساؤله هذا فقال: **« أشكر الله بيسوع المسيح ربّنا... لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيّة والموت»** (الرسالة إلى رومية٧:٢٥، ٨:٢). أي أن المخلص المسيح هو الذي يعتق أي يحرر الإنسان، من عبودية الخطيّة التي نتيجتها الموت.

أجل مستمعي، لهذا الغرض بالذات قد أتى المخلص المسيح. أي لكي يحرر الإنسان من عبودية الخطية، وأن يجعله إنساناً جديداً، يغلب الشرور والشهوات، ويزرع في داخله الخصائل الحميدة. وهذا العمل كله يتم بواسطة روح الله القدوس، وليس بقوة البشر. وعندها يستطيع هذا الإنسان الذي اختبر نعمة الله، أن يقهر الخطيّة في جسده، وأن يفعل الصلاح والخير. هل تعلم مستمعي أن هذا هو اختبار الملايين من البشر؟ فهم عندما تابوا عن ذنوبهم، وآمنوا بالمخلص المسيح، بدّل الله حياتهم رأساً على عقب، وزرع في قلوبهم الخصائل الحميدة.

نعود لمتابعة ما كتبه سليمان الحكيم، حيث اعترف بفشل الحكمة أو الفلسفة بمعالجة مشكلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان فكتب قائلاً: **« أنا ناجيت قلبي قائلاً ها أنا قد عظُمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلي على أورشليم، وقد رأى قلبي كثيراً من الحكمة والمعرفة. ووجّهت قلبي لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل. فعرفتُ أن هذا أيضاً قبض الريح. لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم والذي يزيد علماً يزيد حزناً»** (الجامعة١:١٦-١٨).

كتب سليمان الحكيم هنا عن اختباره الشخصي، حيث أعطاه الله الحكمة وعرف الكثير من الحكمة والمعرفة. لكن بالرغم من كل جهوده التي بذلها، لم يستطع أن يدرك سر مشاعر الإحباط والفشل عند الإنسان. لا بل وصل إلى نتيجة سلبية، وهي أنه كلما كثرت حكمة المرء، كثر غمّه أي يأسه. وأنه كلما ازداد الإنسان علماً أو معرفة إزداد حزناً. لهذا عاد وصرّح قائلاً: « **أن هذا أيضاً قبض الريح».** أي لا معنى له.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

إن هذا الأمر يؤكد يا صديقي فشل الحكمة البشرية، في معرفة سر مشاعر الإحباط والفشل عند الإنسان. لكن الرسول بولس كتب لنا عن حكمة إلهية أخرى، هي وحدها التي تستطيع إنقاذنا، وتجيب عن الكثير من تساؤلاتنا. كتب الرسول بولس قائلاً: **« فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلّصين فهي قوة الله. لأنه مكتوب سأُبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء... لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة... لأن جهالة الله أحكم من الناس»** (١كورنثوس١:١٨و١٩، ٢١، ٢٥أ).

لقد كان صلب المسيح جهالة بالنسبة لحكمة اليونانيين، لكن الله بصليب المسيح أظهر حكمته الفائقة. فبموت المسيح على الصليب، كفّر عن خطيّة الجنس البشري، وأعلن الله عن محبته لنا. وهكذا صار بمقدور كل من يتوب ويؤمن بكفّارة المسيح هذه، أن ينال الغفران عن ذنوبه ويصبح خليقة روحية جديدة. وعندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح يتخلّص من مشاعر الإحباط والفشل. لإن الله يملأ قلبه بسلام داخلي عجيب، وفرح دائم. أجل، لقد فشلت الحكمة البشرية في معرفة سر السعادة الحقة. لكن الإيمان بالمخلص المسيح وموته على الصليب هو العلاج الوحيد لمشاكلنا. فهل تؤمن مستمعي بهذا المخلص؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service